



The desert in Algerian literature, the novel I will give you a gazelle by Malik Haddad, is an example

Dr. Al Khader Bin Issa



Received: 7/9/2024

Revised: 26/10/2024

Accepted: 19/11/2024

Published online: 23/12/2024

* Corresponding author:

Email:

Al-Hajjat@gmail.com

Citation: Bin Issa, A. (2024). The desert in Algerian literature, the novel I will give you a gazelle by Malik Haddad, is an example. International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences; IJJA, 6(4).

<https://doi.org/10.65811/647>

Copyright:

The Author (s) ©2024. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) license.

<https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>

International Jordanian journal
Aryam for humanities and social
sciences: [Issn Online 3006-7286](https://doi.org/10.65811/647)

Abstract

This abstract explores the desert as a constantly changing space that rejects stability and compels continuous movement forward. As depicted by Abdel Rahman Munif, the desert requires harmony with pure natural laws, free from the excesses of civilization. It stands in opposition to urban luxury and artificial settlement, presenting hardship as an essential condition for understanding the spirit of place and existence.

Keywords: Desert, Literature, Novel, Place, Nature

الصحراء في الأدب الجزائري، رواية ساهبك غزالة لمالك حداد أنموذجا د. القادر بين عيسى

الملخص: يتناول هذا الملخص صورة الصحراء بوصفها فضاءً متحوّلاً لا يعرف الثبات، حيث يفرض على الإنسان منطق التقدّم دون رجعة، ويستلزم الاندماج مع قوانين الطبيعة الخالصة. فالصحراء، كما يصورها عبد الرحمن منيف، ترفض مظاهر الحضارة القائمة على الترف والاستقرار، وتدعو إلى الوفاء لروح المكان والتعايش مع قسوته بوصفه شرطاً للفهم والوجود.

الكلمات الدالة: الصحراء، الأدب، الرواية، المكان، الطبيعة.

مقدمة الدراسة

ومن صحب الصحراء هام بعالم من السحر جني الطيوف رهيب فالصحراء فضاء ممتد واسع موحش قفر خاو ، جافة، يعلوها الغبار، وتتلاشى فيها الأصوات، لا أثر فيها للماء، ولا ما يقيم الحياة ، "واعلم انه لولا الصحاري والقفار ما كان العمران ولم يعيش إنسان ولا حيوان بجانبها لترادف الرطوبات وتكاثر العفونات" تفسير طنطاوي جوهرى (الجواهر في تفسير القرآن الكريم) ١-١٣ ج ٤ ، ص ١١٠)

هذه هي الصحراء جملة من المتناقضات هي رمز للحرية والتحرر والانعتاق ، فبمجرد " تجاوز التخوم الأرضية إلى أفاق الكون ، دلالة الباطن والظاهر ، الواقعية والتكشف ، البساطة والإرادة الصلبة ، القابلية للتحويل والحركة ، كما أنها تكتسب جمالية شاملة تتعلق بالرحابة المشهدية والتدفق الضوئي " صلاح صالح ، الرواية العربية والصحراء ، ١٩٩٦.

وفي المقابل هي قيد وسجن وغربة ومعاناة ، ضياع ومنفى ، يقول الشاعر الشنفرى ، حين أجبر على الغربة ، وفرضت عليه الظروف أن يبتعد عن أهله وموطنه ، ليتيه في الصحراء (ديوان الشنفرى ، طلال حرب ، بيروت ١٩٩٣)

وَإِنِّي كَفَانِي فَقَدْ مِنْ لَيْسَ جَازِيًا

بِحُسْنِي ، وَلَا فِي قَرْبِهِ مُتَعَلِّلٌ

ثَلَاثَةُ أَصْحَابٍ : فَوَادُّ مَشِيْعٌ

وَأَبْيَضُ إِصْلِيْتُ ، وَصَفْرَاءُ عَيْطَلٌ

ويقول الشاعر مالك بن الريب (الديوان : تح : نوري حودي القيسي ، مج ١٥ ، ج ١ ، دت)

يَقُولُونَ لَا تَبْعُدْ وَهُمْ يَدْفِنُونَنِي وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا

عَدَاةٌ عَدِي يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى عَدِي

إِذَا أَدْلَجُوا عَنِّي وَخَلَفْتُ ثَاوِيَا

وَأَصْبَحَ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ لِعَغْيَرِي، وَكَانَ الْمَالُ بِالْأَمْسِ مَالِيَا

فالصحراء عموما مكان " يوحى بالاتساع والتحرر، ولا يخلو الأمر من مشاعر الضيق والخوف، لا سيما، إذا كان المكان مفتوحا في أمكنة الشتات والمنافي (...) ولعل حلقة الوصل بينهما هي الإنسان الذي ينطلق من المكان المغلق إلى المكان المفتوح، توافقا مع طبيعتها الراغبة دائما، في الانطلاق و التحرر وهذا لا يتوفر إلا في المكان المفتوح"

حفيظة أحمد: بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية ١٩٥٠-٢٠٠٠، ٢٠٠٧، ص ١٦٦

تجليات الصحراء في الأدب الجزائري:

يجد الملتفت والمهتم بالأدب الجزائري اهتماما كبيرا بمظاهر الطبيعة في هذا الأدب ، لاسيما الطبيعة الصحراوية ، التي تختصر الطبيعة كلها ، تختصر الكون بكل عناصره وأبعاده ، إنها مصدر إلهام ثري ، يثير خيال الشعراء والأدباء والفنانين الجزائريين على تنوع مشاربهم واختلاف مدارسهم وتعدد اتجاهاتهم ، حيث وجدوا أنفسهم مدفوعين لإبراز تعلقهم بالبيئة الصحراوية وطبيعة الصحراء بقسميها الصامت والمتحرك ورسم مشاهدتها ووصف أحاسيسهم في صور أدبية جميلة. وغدت الصحراء الجزائرية مظهرا من مظاهر الجمال الطبيعي الرائع كل شيء فيها مجيل و تعبيريا عن موقف حب و إجلال و عالقة حضارية خاصة، غري أنهم تفاوتوا نسبيا في قدرتهم على تصوير أبعادها الشاملة، و صياغة أعماق الذات الشاعرة في عشقها. إبراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي الجزائري، ٢٠٠٢ ، ص ١٩٠

فوصف الشعراء النخلة وتمورها لإثبات ارتباطهم المتجذر والقديم بهذه الشجرة ذات الأبعاد الدينية، مما جعل لها موروثا ثريا ضمن الموروث الثقافي الجزائري ، يقول الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري في قصيدة أبدع فيها في وصف الصحراء:

يا عاذرا لامريء قد هام في الحضر	وعاذلا لمحّب البدو والقفر
لا تذمّن بيوتا خف محملها	وتمدحن بيوت الطين والحجر
لو كنت تعلم ما في البدو تعذرني	لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر
أو كنت أصبحت في الصحراء مرتقيا	بساط رمل به الحصباء كالدرر
أو جلت في روضة قد راق منظرها	بكل لون جميل شيق عطر
تستنسقن نسима طاب منتشقا	يزيد في الروح لم يمرر على قذر
أو كنت في صبح ليل هاج هاتنه	علوت في مرقب أو جلت بالنظر
رأيت في كل وجه من بسائطها	سريا من الوحش يرعى أطيب الشجر
فيا لها وقفة لم تبق من حزن	في قلب مضنى ولا كدا لذي ضجر
نُباكرُ الصيد أحيانا فنُبغته	فالصيدُ منا مدى الأوقات في ذعر

إلى أن يقول:

ما في البداوة من عيب تُذمُّ به إلا المروءة والإحسان بالبدر

وصحّة الجسم فيها غير خافية والعيب والداء مقصور على الحضر
من لم يمُت عندنا بالطعن عاش مدى فنحن أطول خلق الله في العُمُر
ويقول الشاعر مفدي زكرياء:

وفي صحرائنا جنات عدن

بها تنساب ثروتنا انسيابا

وفي صحرائنا الكبرى كنوز

نطارده عن مواقعها الغرابا

وفي صحرائنا تبر وتمر

كلا الذهيين راق بها و طابا

وفي صحرائنا شعر وسحر

كلا الملكين حط بها الركابا

وفي صحرائنا أدب وعلم

زكا بهما المثقف واستطابا

وفي واحاتنا ظل ظليل

تفور به نواعرها حبابا

ويقول في مناسبة أخرى:

وهزّت-مريم-العذرا نخيلا فأسقطت الفلودج والرضابا

عراجن كالمجرة مشرقا عسالجها انسكبن بها انسكابا

يُدغدغ تحتها الغنّام نايّا فيُنطق من فم الغنم الربابا

ويقول أيضا مبرزا مشاعر الحب و الشوق إلى الصحراء وهو في غياهب السجن (ديوان اللهب
المقدس، ١٩٨٣، ص ٣١٦).

وفي حرم الصحراء، أهلي، وجيرتي.. وربعي، وخلاني، وأكبادي الخرى

فكم كنت والأهلين نعلو نخيلها ونقطف صبحا من عراجينها تمرا

ونفترش الرمل الوتير وبيننا حديث نناجي في حكايته البدرا
وتحت الخيام الحالما ت جميلة مرحة الأعطاف فارغة سمرا
أما الشاعر الأخضر السائي فيقول في قصيدة يتغنى بها بالصحراء وسحرها:
كُتِبَ أنت أم سنا وضياء؟ ورمال أم فتنة ورواء؟
وسكون مخيم ووجوم؟ أم غناء مرجع وحداء؟
وبساط مهد من حرير؟ أم هضاب على الثرى شماء؟
لست أدري أنت أرض دحاك الله أم أنت يا رمال سماء؟
الجمال البديع والسحر
والروعة والطهر والسنا والصفاء
ها هنا كلها بدت في رمال
-وهضاب ماجت بها البيداء-

لقد أثبت هذا النزوع نحو المكان (الصحراء) أن " المكان حينما يكون موضوعا جماليا متخيلا يكتسب خاصية الأثر المبدع الذي تؤول ملكيته إلى القارئ أولا و أخيرا، فالشاعر لا يقدم سوى الإشارة إليه في إبداعه، يعمل الاقتصاد الشعري على اختزالها و حذف أجزائها. بيد أن التخيل يعيد إليها المحذوف ليس بالطريقة الآلية التي يمكن أن نتصورها سريعا و إنما بالإضافة الجديدة التي لم تكن للمكان من قبل " حبيب مونسي : فلسفة المكان في الشعر العربي " قراءة موضوعاتية جمالية " ٢٠٠١.

حضور الصحراء في الرواية الجزائرية :

فضاء الصحراء مكان منفتح على الطبيعة ، هذه الخصوصية وظفتها الرواية ، فقد ألهمت قرائح الروائيين الجزائريين باللغتين العربية والفرنسية، فجادت بصور مستملحة عن مكان ظل مُهمشا حينا من الزمن، لتأطير أحداثها بفرض الزمان المتحكم فيها ، وحولت عوالمه المفتوحة على الأسطورة والخرافة والتهيه والصمت والغيب إلى علامات ناطقة بزخم المعنى وغواية الحكاية المسكوبة في تصاميم النصوص وخرائط السرد ، حيث شملت تقريبا كل أحداث الرواية نظرا لولادة الشخصية بها وترعرعها داخل فضاء مكاني، شاع بعاداته وتقاليده وأفكاره الغريبة، كما تمثل الصحراء بمساحتها الشاسعة وعدم وجود العمران على أرضها مكانا مفتوحا ، فيمشي بها الإنسان وكأنه لا يتحرك من مكانه لالتفات رمال الصحراء علي، فهي متواجدة أينما يمشي مع حرارة المكان وإن أشد ما يشهده هذا الفضاء الواسع، الكثبان الرملية التي تؤدي بحياة الإنسان إلى الموت، بوصفها مكانا مفتوحا لحدود له.

انظر : أمينة رحال و ليليا أوقال : صورة الصحراء في الرواية الجزائرية رواية "تلك المحبة"

للحبيب السائح أنموذجا ، ٢٠١٦ ، ص ٣٣.

انظر أيضا : حميد عبد القادر : حضور الصحراء في الرواية الجزائرية: الاحتفاء بالإنسان على ذرات الرمل، أبريل ٢٠١٨

تراءت الصحراء - كما تشير الدكتوراة آمنة بلعلی - بعد الاستقلال كذاكرة منسية بالنسبة للروائيين، الذين يكتبون باللغة الفرنسية، حيث استطاعت رواياتهم تحرير نفسها من قيود النظام الاشتراكي لتحلق في فضاءات إبداعية تعمل على إضاءة بعض مواطن العتمة من التاريخ والجغرافيا الجزائرية، فكانت الصحراء الحاضر الغائب الذي يظهر باحتشام في دور لشخصية، أو إحالة إلى لغة حالة اختلاف، لتتشكل بعد ذلك كعلامة رمزية، وفضاء متخيلا سرعان ما اكتشفه مولود معمري من خلال بحوثه الأنثروبولوجية، فضاء حقيقيا للهوية اللغوية الأمازيغية. وإليها يعبر من خلال شخصيات روايته العبور *La traversée* سنة ١٩٨٢ من إحدى مداشر بلاد القبائل "تازقا"؛ حيث ينتقل مراد الصحفي إلى الصحراء، ويقوم معمري من خلاله بتفكيك متخيل الصحراء كما تمثلها الغرب، ويسائل ثقافة شعب التوارق هناك الموزع بين الحدود، وبذلك تتحول رمزية الصحراء إلى فضاء للبحث عن الهوية الأمازيغية التي تصاعدت المطالبة بها في ثمانينيات القرن الماضي، وجسدت الرواية جزءا من السيرة الشخصية للروائي والأنثروبولوجي الذي يبحث عن الثقافة الجزائرية الحية لدى أمازيغ الصحراء، وهو الأمر نفسه الذي دفع الطاهر جاووت إلى كتابة رواية اختراع الصحراء *l'invention du désert* سنة ١٩٨٧ التي مثلت رمزا للبحث عن الجذور الهوياتية، من خلال شخصية البطل الذي يعيش منعزلا في المدينة الباردة في أحد فنادق باريس فارا من سطوة القهر السياسي في الجزائر، حيث نمت الصحوة الإسلامية، فعكف جاووت على البحث عن أسباب هذه الظاهرة المفاجئة، ولكن من خلال أبعاد رمزية عاد بنا من خلالها إلى مؤسس الدولة الموحدية المهدي ابن تومرت، ليستنطق من خلاله البطل الذي يجعل من حياته سيرا دون نهاية، لأنه مولع بالسفر مثل ابن تومرت الذي جاب الصحاري العربية، فيستنطق من خلاله جذور التعصب الذي بدأت بواده تظهر مع صحوة الثمانينيات الدينية.

فكان السفر إلى الصحراء، بمثابة توجه نحو الداخل لتجاوز آثار التحولات الإيديولوجية والسياسية التي ساهمت في تغييب الهوية الحقيقية للشعب الجزائري، وارتداء هويات إيديولوجية قاتلة.

في سنة ١٩٩٢، ومع بداية أزمة العنف في الجزائر، يطل محمد ديب من خلال روايته الصحراء بلا منعطف *le désert sans détour* تحت غطاء شبه سوربالي سيستمر معه في رواياته اللاحقة، وذلك من خلال رحلة التيه في الصحراء، التي تعادل رحلة البحث الداخلي عن معنى الوجود، لتصبح رواية في الرمزية الفلسفية للصحراء.

وهو الأمر الذي عمقه في رواية سيمورغ *Simorgh* سنة ٢٠٠٣ حيث يجعل من استيقاظ قوى الطبيعة في الصحراء وتواطؤ الرمل مع الريح في فصل مدن الأشباح الحزينة معادلا رمزيا لإمكانية القضاء على كل جميل في الحياة، فهو يستطيع القضاء ببطء وبكل فظاظة على أجمل واحة نابضة بالحياة، فالرمل، يمكن أن يجزّ خلفه الصحراء كلها، وهو في هذه الأمثلة الرمزية يوحى إلى الغرب

المعولم القاهر للهويات.

ويَتَّخِذُ رشيد بوجدره سنة ١٩٩٤ في رواية تيميمون Timimoun من الصحراء ملاذاً، جراء ما يحدث في الشمال من مجازر، وفي إسقاط نفسي تتحوّل الصحراء المتخيّلة إلى صورة الأم، وهو في هذه الرواية، يقارب الصّحراء من موقعه الشمالي الذي لم يعرفها إلا سائحا، أغرت مخيلته، ومنحته فرصة لتفسير ما يحدث في جزائر التسعينيات وما تثيره الصحراء من وشائج الذكرى إلى مسقط الرأس بقسنطينة التي يستدعي منها رائحة أمه .

جسّدت رواية الممنوعة l'interdite لمليكة مقدّم سنة ١٩٩٣ بداية تحوّل متخيّل الصحراء لدى الروائيين الجزائريين الذين يكتبون بالفرنسية، حيث استطاعت هذه الروائية القادمة من الصحراء إلى فضاءات الغرب الباردة، أن تخوض تجربة استنطاق مضاعف، تفضح من خلاله التمثّل الكلاسيكي الذي ينظر إلى الصحراء من خارج بصفتها فضاء للاستمتاع والسّياحة، أو ملاذاً نفسياً، إلى فضح الصحراء التي تمارس المنع والقهر على المرأة، وبذلك تعرض ذلك التعارض الذي تمثّله الصحراء بين كونها فضاء حراً وسجناً يتّسع لمجتمع أبوي يمارس فيه منع النساء من ممارسة أدنى الحقوق ، سعت مليكة مقدّم إلى خلق متخيّل صحراوي جدي سوف يسمح لأبناء الصحراء بالانخراط في الاشتغال على تمثيلات متنوعة للصحراء، أسست للرواية الصحراوية في الجزائر، بدءاً من الألفية الثالثة، معظمهم كتب باللغة العربية، قاموا بتفكيك أسطورة الصحراء بتمثيلاتا التقليدية ليطلعوا القارئ على صحراء تقاسمتها رهانات سياسية واجتماعية واقتصادية وتمثيلات لتناقضات هذه الرهانات، فهي التي انبعثت منها دويلات دينية حكمت الجزائر والمغرب الإسلامي كالموحّدين والمرابطين، ومنها أطلق المستعمر أولى تجاربه النووية في رقان، ورقان نفسها، تحولت إلى معتقل كبير زجّ فيه بآلاف الإسلاميين في بداية التسعينيات، وهي نفسها صحراء الهامش الثقافي .

أمنة بلعلی : متخيّل الصحراء وإعادة تشكيل المركز في الرواية الجزائرية ، أكتوبر ٢٠١٧.

أما الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية والتي تناولت تيمة الصحراء ، فيبدو أنها – على قلتها - جاءت متأخرة ، نذكر منها:

مملكة الزيوان: لحاج أحمد الصديق ، هذا الأخير حاول في نصه الروائي عمل على إبراز جمالية المعالم الجغرافية والحياة الاجتماعية والروحية في صحراء توات ولقد تميزت روايته بتركيزها على الصحراء واهتمامها بالعودة إلى الماضي السحيق للصحراء ومحاور أساطيرها ورموزها ورمالها واستكشاف عوالم الأسلاف وتعاويذهم ورقاهم وتمائمهم السحرية.

صحراء الظمأ : ل الأخضر بن السائح والرواية بأكملها تمثل عالم الصحراء و تصور لنا الرواية رحلة في الصحراء مليئة بالمغامرات الشيقة.

رواية "تيميمون": لرشيد بوجدره ، والتي هي عبارة عن رحلة تخيلية في فضاء واقعي في عمق الصحراء الجزائرية حيث الأمن والأمان المفقود بفعل لغة الموت المبتوثة في كل شارع من شوارع الشمال واستطاع أن يرسم التناقض الصارخ بين فضائين ينتميان لبيئة جزائرية واحدة.

رواية تنزروفت : لعبد القادر ضيف الله ، في هذه الرواية يسترجع الكاتب تاريخ الصحراء من خلال شخصية العالم وفتح إفريقيا عبد الكريم المغيلي ومعاركه مع يهود الصحراء. بالموازاة مع استرجاع ذكريات البطل في ظل الإرهاب في الشمال الذي فرّ منه إلى صحراء تنزروفت أرض الواد والعطش.

رواية الخابية : لجميلة طلباوي ، التي تحتفي فيها بهذا الجزء في القصر من البناء الصحراوي القديم الذي تمده بالمؤونة، وتضمن له الحياة في قلب الصحراء القاسية، وتجعل من الخابية سلطة رمزية تختزل ممارسة اجتماعية، وشاهدا على قيم الصحراء التي تميّز شعبها، وهي التي عبّرت عن الفكر الصحراوي في علاقته بالأشياء، والتمتع بالحصانة وخاصة في ظل عولمة متكاملة على القيم.

رواية ثابت الظلمة : ل أمل بوشارب ، رواية تقع في ٣٧٠ صفحة، موزعة على ثلاثة أقسام، وتتناول تيمة تربط بين أسطورة إغريقية تلتحم مع وقائع تاريخية تناولها أفلاطون في محاورتيه الشهيرتين تيمايوس وكريتياس ومعتقدات محلية تنضوي على أسرار مسكوت عنها، يبررها تواجد نصوص تيفيناغ منتشرة في الصحراء الجزائرية لم يتم تفسيرها إلى حد الآن.

رواية صحاري السراب: للكاتب الجزائري نوار ياسين ، وهي تسير في مسار سردي عربي طويل شهد تفاعلا مع المكان الصحراوي وكل مظاهر الحياة وصعوباتها وثقافتها وأسرارها .

انظر : آمنة بلعلي : متخيّل الصحراء وإعادة تشكيل المركز في الرواية الجزائرية ، أكتوبر ٢٠١٧.

وأیضا : عائشة قعادي : صورة الصحراء في السرد الجزائري المعاصر ، ٢٠١٦ ، ص ٢٤.

الصحراء في رواية سَاهِبِكْ غزالة لمالك حداد

ظهرت لدى مالك حداد في سنة ١٩٥٩ في روايته سَاهِبِكْ غزالة Je t'offrirai Une Gazelle ومن خلال بحث البطل مولاي عن غزالة حية في الصحراء يهبها لحبيبته، ثم موته عطشا فيها دون أن يحقق لها ذلك. جسّد مالك حداد، الفراغ النفسي الذي يعاينه الجزائري في وطنه تحت وطأة الاستعمار، وهو الفراغ نفسه الذي عايناه في باريس منفاه المضاعف. فباريس/ قسنطينة في الواقع وباريس/ الصحراء في المتخيل، جسدا لدى مالك حداد المنفى المتعدد الأبعاد، بدءا باللغة الفرنسية التي اعتبرها منفاه، إلى الواقع الذي رمز له بالصحراء، ثم باريس التي هي منفى في الحقيقة وفي المتخيل، ولذلك ستصبح الغزالة موضوع السعي في المتخيل رمزا للحرية التي لم يتمكن الجزائري من تحقيقها.

انظر : آمنة بلعلي : متخيّل الصحراء وإعادة تشكيل المركز في الرواية الجزائرية ، أكتوبر ٢٠١٧.

هي رواية معقدة، وذات مستويات، يلتقي فيها مؤلفها مجهول الاسم بأبطاله - شخوصه بقدر ما يصنعهم ويشترك معهم في البطولة الروائية. فالمؤلف واحد من أبطال روايته، وهو يكاد يكون الكاتب/ الشاعر الذي يكتب هذا الكتاب. ففي الرواية شخصية "المؤلف" الذي نجده على لسان الراوي الأول عبر جملة تتكرر في صيغة "وكان المؤلف يقول راوياً"، وفيها صورة المؤلف وقد

"استرجع... مخطوطه ثم انتصب واقفاً وبقي لحظة مركزاً أمام "جيزال" "كالعود الحائر" ثم انصرف "حاملاً مخطوطة" ... وأغلق المؤلف الباب كما يغلق الإنسان الكتاب" لنفاجأ بأن الرواية قد انتهت بلحظة إغلاق الباب - الكتاب.

انظر : عمر شبانة : طبعة مصرية لرواية مالك حداد "سأهيك غزالة". مارس ١٩٩٩ .

في هذه الرواية يروي مالك حداد قصة حب بين سائق شاحنة وفتاة شابة، تعيش في الواحة التي يتوقف فيها السائق ليستريح، وهو في رحلته عبر الصحراء. فالكاتب في رأي حداد لا يلتزم إلا بشخصيات رواياته. لكنه لم يهمل ثورة التحرير والمجاهدين، الذين كانوا يقاتلون من أجل أن يحققوا السعادة والخير لشعبهم، أو من أجل الغزلان.

أراد الكاتب بهذا العمل الروائي أن يتقل لنا صورة واقعية عن مشاعره و انطباعات عدد من أفراد الشعب الجزائري الذين عانوا من الوضع نفسه و من التجربة ذاتها أثناء فترة حرب التحرير،

فالرواية تتحدث عن كاتب ومثقف جزائري يعيش في باريس حياة بائسة، ويواجه صعوبة في الإحساس بهويته الوطنية، خاصة إذا علمنا بمعاناته المسبقة جراء عدم امتلاكه لهوية شخصية كفرد، فهو لا يملك اسماً كباقي الشخصيات، وإنما يعرف فقط بكونه المؤلف، إلا أنه ثار على ما هو عليه من ركود بتأليفه لمخطوط أودعه بشكل غير رسمي في إحدى مكاتب دور النشر؛ لأنه لم يجد أحد هناك، فقام بوضعه على المكتب دون أن يدون اسمه عليه، أما العنوان فقد قرر في آخر لحظة قبل انصرافه أن يعنونه بـ "سأهيك غزالة" استجابة لمتطلبات النشر، ولا شك أن المؤلف يحمل اسماً عربياً، ولو أنه نسب المخطوط إليه لكانت فرصته في النشر محدودة بسبب التمييز العنصري، أو ربما لأن إحساسه باسمه العربي كجزء من هويته لم يرق لديه إلى مستوى البوح، والاعتراف.

والمخطوط عبارة عن رواية عاش تفاصيلها شاب يدعى موالى يطارد الغزلان الحية في الصحراء، لكي يهب واحدة ليأمينات المرأة التي طلبت منه غزالة بتلك المواصفات؛ لأن الغزالة حسب اعتقادها لا تكون كذلك إلا إذا كانت حية، لقد كانت الغزالة مهراً لها، ولن يكون هناك مهر يليق بها سوى الحرية المتجلية في غزالة حرة، وطلقة. أما اليوتنان ماسون فكان كثير التردد على والد يامينات مصحوباً بكاتب الكومندان المسمى كاباش، وهكذا عمل المؤلف على توليد المزيد من الدلالات على مستوى النص المخطوط بوضع يامينات موضع طمع من الخونة المقربين من أحد الضباط الفرنسيين.

-مالك حداد، سأهيك غزالة، تعريب صالح القرمدي، الدار التونسية للنشر و التوزيع ١٩٩٨
ص٦.

دراسة البنية الفنية للرواية:

العنوان : العنوان أول عتبة نصية يصطدم بها القارئ لكونه يمثل معرفة لضبط انسجام النص وفهم ما غمض منه، إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه، وهو الذي يحدد هوية الرواية فهو إن صحت المشابهة- بمثابة الرأس للجسد، والأساس الذي تبنى عليه، غير أنه إما أن

يكون طويلا فيساعد على توقع المضمون الذي يتلوه، وإما أن يكون قصيرا. وحينئذ فإنه لابد من قرائن فوق لغوية توجي بما يتبعه.

محمد مفتاح: دينامية النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٨٧، ص: ٦٠.

فهو عمل روائي مواز لمتن الرواية المكتوبة و هو نص مشفر يحتاج إلى جملة من الآليات و الأدوات التحليلية التي من شأنها تبين مكونات النص الروائي و إجلاء معانيه كالعلامة النصية مثلا، كما أن تعدد قراءات الرواية مع عدم إغفال نص العتبة الموازي و إعادة قراءة تلك القراءات هي من مستلزمات فقه الرواية ونقدها و إدراك معانيها.

أي أن كل عنوان يلصقه الكاتب على ظهر روايته أو يعلقه كالثرى في رأس الصفحة أو يوقعه في وسط كل فصل أو قسم "لاشك أن المؤلف أفرغ فيه جهدا وتطلب منه اختياره؛ لأن صياغة عنوان أي عمل إبداعي جزء من الكتابة الفنية نظرا لما للعنوان من أهمية على المستوى الإعلامي (الإشهار) أولا، على المستوى الفكري ثانيا، وعلى المستوى الجمالي ثالثا، ونظرا إلى كل هذه الاعتبارات فإن العنوان ذو أهمية خاصة بالنسبة للمؤلف والمتلقي على السواء؛ لأنه جماع النص وملخصه.

مجيد طوبيا: تغريبة بني حتحوت، بيروت، دار الشروق، ط ١، ١٩٨٨

وقد جاء عنوان رواية مالك حداد تركيبا فعليا أي جملة ابتدأت بفعل والفعل عادة يدل على الحركة والتجدد والاستمرار ، فعل + فاعل مستتر (يعود على المتكلم) + مفعول به سَأهَبَكَ غزالة ، وقد اختار الكاتب لهذا الفعل زمن المستقبل القريب لكون الفعل جاء مسبقا بحرف من أحرف التسويف (السين) ، وهو من الحروف المهموسة . و هو عادة للتنفيس، وتستعمل للحزين، الذي يتيه في دوامة الخيال و الوسواس. حيث تعني الحروف المهموسة السيولة و السهولة و اليسر. كما يعطي إيقاعا و صفيرا في النطق...؛ إذ كثيرا ما يحيل إلى عالم الجن و ما تشترك فيه عوالم .

وليد عثمانى : شعرية الفضاء وغواية الصحراء في الرواية الجزائرية ، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، العدد ١٠ ، ٢٠١٤ ، ص ٢٤١.

لكن وجود هذا الحرف في هذا الموضع بالذات يدل على قرب وقوع الفعل لأن الأكثر في السين الوعد والمسلم ملزم بالوفاء بالعهد.

وقد اسستر الفاعل المقدر ب (أنا) وجوبا ، لأنه أسند إلى فعل مضارع ، والنحاة أشاروا إلى أن الفاعل يسستر إذا كان فاعلا لفعل مضارع مسند إلى متكلم.

وغياب الفاعل عوض بحضور المفعول به ، وكأن المفعول به هو المقصود من هذا التركيب الفعلي.

فالفعل المضارع : أهب (فعل ينصب مفعولين) مرتبط بمعنى الهبة ، والهبة يقصد بها الواهب وجه الموهوب له.

وكاف المخاطب في قول الكاتب : أهبك في موضع مفعول به أول فهي المعنية بالهبة.

غزالة : مفعول به ثاني وهي موضوع الهبة ، واختيار هذا الحيوان لم يكن اعتباطيا بل هو يحيل إلى دلالات مختلفة من بينها أن الغزال " هو ذلك الحيوان البري الذي يعيش في الصحراء ، ويتميز بالرشاقة والخفة والسرعة في الجري ، بحيث يصعب الإمساك به ، إلا عن طريق الصيد ، وبالتالي لا يقبض عليه إلا ميتا ، وهو لا يحب القبض ، ويعيش في حرية داخل فضائه الرحب ، المترامي الأطراف (الصحراء ،) ويوحى بدلالات عدة : الشرود ، الإفلات ، الحرية الانطلاق ، الهروب من القيد ، الطموح، . . الخ.

فكذلك الكاتب يتطلع إلى الحرية والعيش طليقا.

تجليات المكان في رواية سأهيك غزالة:

لأول وهلة يدرك القارئ أن الفضاء الذي يستدعيه الكاتب في هذه الرواية هو الصحراء ، بغض النظر عن زمن الكتابة ومكانها الفعلين (الرواية كتبت في باريس) لارتباطه بمعطى من معطيات هذا المكان الفسيح والمخيف ، فالغزال موطنه الصحاري والبراري ، يقول الكاتب : " عثر الدرب ثانية عن طريق النجوم ، وحدها النجوم تملك الصبر المطلوب

لاشيء يحتمل الصحراء . تهجرها الطيور . تتجنبها الغزلان ، وتبقى قشور بيض النعام المكسورة أطلال هروب فضيع حدث في غابر الزمان . ماتت الجمال . تتشابع أنواع السراب إلى حد بعث اليأس في النفوس. تذكر بجزر ، جزر على شكل سبخة ، أرخبيل صامت . ومع ذلك فقد عثر الدرب ثانية عن طريق النجوم " . الرواية ص ٢٩.

يؤدي المكان دورا مهما في الرواية ، فهو ليس عنصرا زائدا ، بل يتخذ أشكالا ويتضمن معاني عديدة ، إنه يكون بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله ، وانشغال الكاتب بالصحراء في هذه الرواية يؤكد أنها محور الأحداث وبسببها تقع كل التحولات. فإذا أراد الكاتب أن يعيش حرا عليه أن يقبل الحياة في الجحيم ، والصحراء جحيم جميل لأنها جحيم الحرية والانطلاق والتضحية ، والصحراء فردوس مفقود، وواحة مفقودة، مفقودة لكنها موجودة، لا يعرف أحد مكانها ولكن لا أحد ينفي وجودها، هي بلا شك واحة في أعماق الصحراء وبواطنها. لا يعثر عليها إلا التائهون الذين فقدوا الأمل في النجاة .

انظر حسن المودن : الرواية والتحليل النصي ، ص ٦٧.

يحاول الكاتب في هذا الرواية أن يقدم للقارئ أشبه ما يكون بالمفاضلة والموازنة بين حضارتين ، الحضارة الشرقية التي يمثلها التمدن والعصرنة من جهة ومن جهة أخرى الحضارة العربية الأصيلة المرتبطة بالبداءة والصحراء وهي فضاء تجربة مغايرة لتجارب المدينة، فتجربة الحياة في الصحراء لا يمكن أن تكون تجربة إلا إذا بلغت الحدود القصوى ، وشتان بين الفضائيين ، فضاء تغطي عله النزعة الواقعية ولا يؤمن إلا بما هو معيش ومادي وملموس ، والثاني أي (الصحراء) فضاء أسطوري روجي يؤمن بالأصل والأساس لمنبع الإنسان وتجذره في الأصالة والتمسك بها .

تظهر صورة الصحراء في الرواية كصورة الصحراء المعروفة، فهي تبدو فضاء رمليا واسعا، و مبهرا و لكن ما يميزها في هذا النص، هو أنها لصحراء ليست عادية بل تنبئ بدلالات عدّة، بالإضافة إلى كونها فضاء للحب و تبادل المشاعر بين الحبيبان "يمينة "و" مولاي " كان مولاي عاشقا، وكان عاشقا ليمينة وكانت "يمينة "عاشقة ، كانت عاشقة لمولاي و كانا يتقابلان هناك في (الصحراء عندما يكون الليل باع و مهارة).

قائمة المراجع

- الغنيمي، سعيد. (٢٠٠٠). ملحمة الحدود القصوى: المتخيل الصحراوي في أدب إبراهيم الكوني. (ط. ١). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- القيسي، نوري هودي. (د.ت). ديوان مالك بن الرب. مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية.
- المودن، حسن. (٢٠٠٩). الرواية والتحليل النصي. (ط. ١). بيروت: دار الأمان.
- المفدي، زكريا. (١٩٨٣). ديوان اللهب المقدس. الجزائر: المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع.
- المفتاح، محمد. (١٩٨٧). دينامية النص. (ط. ١). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- المنسي، حبيب. (٢٠٠١). فلسفة المكان في الشعر العربي: قراءة جمالية موضوعاتية. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- الهاشمي، حافظ أحمد. (٢٠٠٧). بنية الخطاب في الرواية النسوية الفلسطينية (١٩٥٠-٢٠٠٠). رام الله: منشورات مركز أوغاريت الثقافي.
- تانتاوي، الجوهري. (٢٠١٥). الجواهر في تفسير القرآن الكريم. (ط. ١). القاهرة: دار الكتب العلمية.
- تالال، حرب. (١٩٩٣). ديوان الشنفرى. (ط. ٢). بيروت: دار صادر.
- توبيا، مجيد. (١٩٨٨). منفى بني حتوت. (ط. ١). بيروت: دار الشروق.
- حداد، مالك. (١٩٨٦). سأمنحك غزالة. تونس: الدار التونسية للنشر والتوزيع.
- رمضاني، إبراهيم. (٢٠٠٢). المدينة في الشعر العربي الجزائري. الجزائر: منشورات موفم.
- صالح، صلاح. (١٩٩٦). الرواية العربية والصحراء. (ط. ١). دمشق: منشورات وزارة الثقافة.
- عثماني، وليد. (٢٠١٤). شعرية المكان وإغواء الصحراء في الرواية الجزائرية. مجلة المخبر: أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، (١٠).
- قعدي، عائشة. (٢٠١٦). صورة الصحراء في السرد الجزائري المعاصر (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر.
- رحال، أمينة، وعقال، ليليا. (٢٠١٦). صورة الصحراء في الرواية الجزائرية: رواية «ذلك الحب» للحبيب السائح أنموذجاً (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر.
- بلعلي، آمنة. (٢٠١٧). تخيل الصحراء وإعادة تشكيل المركز في الرواية الجزائرية. موقع إلكتروني ثقافي.

حميد، عبد القادر. (٢٠١٨). حضور الصحراء في الرواية الجزائرية: الاحتفاء بالإنسان على حبات الرمل. موقع إلكتروني ثقافي.